مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

د. أحمد حسين علي الشياب

وِلَادَةُ المَسِيحِ عَليهِ السَّلام

في ضَوءِ سورةِ مَريم

الدكتور أحمد حسين علي الشياب

ملخص:

تناولت هذه الدراسةُ، البحثَ في ولادة المسيح عليه السلام، من خلال سورة مريم خاصة، وباقي سور القرآن الكريم عامة، كدراسة قرآنية، للنظر في ملابسات الميلاد العذراوي للسيدة مريم، وبراءتها مما اتهمت به، وما نتج عن هذا الحدث العظيم من اضطراب النصارى فيما ادّعوه من أباطيل تجاه نبي الله عيسى عليه السلام، واختلافهم وتفرقهم إلى فرق كثيرة متناحرة. وذلك بهدف إبراز صدق البيان القرآني ودوره في تأصيل عقيدة النصارى، وكشف أباطيلهم، وردّهم إلى الصواب فيما اضطربوا فيه من عقائد باطلة في ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد بينت الدراسة – من خلال آيات القرآن الكريم – أنّ هذا الميلاد، ما كان إلا لإظهار طلاقة المشيئة والقدرة الإلهية في الخلق، وتحويل الناس من التعلق بالأسباب المادية إلى التعلق بخالق هذه الأسباب.

هذا وقد أوضحت هذه الدراسة أن الله تعالى قد تكفل – في كتابه – ببراءة السيدة مريم، من خلال خارقة أخرى، وهي كلام ابنها المسيح وهو في مهده، فأعلى الله من شأنها وشانه عليه السلام.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

وقد اختتمت الدراسة ببيان موقف أتباع المسيح عليه السلام من هذا الميلاد العذراوي، واختلافهم في طبيعته، وتقولهم عليه أقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، فقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة: بل هو ابن الله، وقالت فرقة: بل هو ثالث ثلاثة، وقالت فرقة: هو عبد الله ورسوله. وقد بينت الدراسة، روعة البيان القرآن الكريم في رده على أباطيلهم بالحجج العقلية الدامغة؛ إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يزال هذا الاختلاف حتى هذه اللحظة، ولن ينجيهم إلا أن يصدقوا بكل ما جاء به القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الأحزاب، سورة مريم ، ميلاد المسيح ، النصارى، البيان القرآني .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

د. أحمد حسين علي الشياب

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد : فإنه قد تخبط النصارى بكثير من معتقداتهم، والتي من أهمها ولادة المسيح عليه السلام من غير أب، فلم يستوعبوا هذا الميلاد، فأضفوا عليه صفة الألوهية ونسجوا حوله الأقاويل الباطلة، وتفرقوا – بسبب ذلك – إلى فرقا شتى متناحرة.

فجاءت هذه الدراسة لإبراز دور القرآن الكريم في إظهار حقيقة ما اختلف فيه النصارى، والرد على أباطيلهم، وردهم إلى الصواب، ودعوتهم إلى التصديق بما في القرآن الكريم باعتباره الوثيقة الوحيدة ذات السند الصحيح، والتخلي عن كل ما لديهم من نصوص مشوّهة في هذا الميلاد.

هذا وقد عالجت هذه الدراسة، موضوعات كثيرة، من أهمها: براءة السيدة مريم من التهمة الموجهة لها، وبيان الحكمة الإلهية من طبيعة هذه الولادة، والرد على الأقاويل الباطلة بحق عيسى عليه السلام، وبيان حجم الاختلاف في أمر عيسى عليه السلام، وذكر بعض فرقهم وطوائفهم التي كثرت بسبب هذا الميلاد. سائلا المولى التوفيق.

أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيس: ما هو دور القرآن الكريم في إظهار حقيقة ميلاد المسيح عليه السلام؟ هذا ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١) ما هي ملابسات ولادة المسيح عليه السلام عند النصارى؟

٢) كيف أظهر القرآن الكريم براءة السيدة مريم ؟

٣) ما هو موقف النصارى من هذا الميلاد، ولماذا تفرقوا إلى أحزاب شتى ؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

أهداف البحث

١) بيان دور القرآن الكريم في إظهار حقيقة ميلاد المسيح عليه السلام.

٢) بيان دور القرآن الكريم في توضيح ملابسات ولادة المسيح عليه السلام عند النصارى.

٣) بيان دور القرآن الكريم في براءة السيدة مريم .

٤) بيان موقف النصارى من نبي الله عيسى عليه السلام، وما هي طوائفهم التي افترقوا عليها ؟

الدراسات السابقة:

وجد الباحث كثيرا من الدراسات السابقة في هذا الموضوع، والتي كانت محط نظره وإهتمامه، ومن أبرزها:

أولا: رسالة ماجستير بعنوان: " المسيح من خلال القرآن والأناجيل " للمولدي المحمودي، في الجامعة التونسية، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، في تونس، ١٩٨٤م.

فقد تناول الباحث قضايا كثيره حول المسيح عليه السلام في المجتمع الذي كان محيطا به، ومن هذه القضايا، قضية ولادة المسيح عليه السلام، والذي ذكره على شكل قصة فقط، من الألف إلى الياء وبشكل متسلسل، وذلك في القرآن الكريم والأناجيل، من غير دراسة وتحليل. ومن ثم فقد كان مسار الباحث في مجال العقيدة، وليس في مجال التفسير.

أما بحثي فيختلف اختلاف كلي، فمن حيث مسار البحث فهو في مجال التفسير وليس في مجال العقيدة الذي سلكه الباحث، أما طبيعة موضوع البحث فقد كان بحثي خالصا بميلاد المسيح وما يتعلق به، من الناحية التفسيرية، مستندا في ذلك على سورة مريم، وما تضمنت من إشارات ولطائف قرآنية في هذه القضية.

ثانيا: رسالة ماجستير بعنوان: " ميلاد عيسى عند النصارى واليهود والمسلمين" لمسعود بن سعد الغامدي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، في الرياض، عام ١٩٨٥م. وفيها بعض الملاحظات:

١- هذه الرسالة جاءت في مسار غير مسار بحثي ، فمسار هذه الرسالة هو العقيدة الإسلامية، بينما مسار بحثي هو التفسير.

٢- كانت دراسة الباحث في هذه الرسالة من باب عقد المقارنات لهذا الميلاد عند الديانات الثلاثة، وبيان بطلان مزاعم اليهود والنصارى بشأن هذا الميلاد، وإثبات صدق الخبر بهذا الميلاد في عقيدة المسلمين، ولذلك لم يتطرق الباحث لما في نصوص القرآن الكريم من مزايا وإشارات في هذا الشأن. أما بحثي فكان عبارة عن دراسة ميلاد المسيح عليه السلام وما يتعلق به، دراسة موضوعية تفسيرية في ضوء سورة مريم، من أجل الكشف عن مزايا القرآن الكريم وبراعته في بيان حقائق تاريخية سادها الغموض والتحريف عند اليهود والنصارى.

ثالثا: رسالة دكتوراة بعنوان: " مقام عيسى بن البتول عليه السلام في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم" لعبد الحكيم عبد الهادي أحمد العجب، في جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، في السودان، عام ٢٠٠٦م.

وفيها بعض الملاحظات:

١- جاءت الرسالة عامة لمقام المسيح عليه السلام، في القرآن الكريم كله والسنة النبوية الشريفة، بينما دراستي فكانت خاصة في ولادة المسيح عليه السلام، وفي سورة مريم فقط.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

٢- ذكر الباحث شيئا عن مولد المسيح تحت الباب: رسل الله عليهم السلام، تحت فصل: أولوا العزم من الرسل. وكل ما أراده الباحث هنا هو اثبات صدق الرواية القرآنية لولادة المسيح، وذلك دون التعرض للقصة وفروعها.

٣- لم يذكر الباحث قضية ميلاد المسيح بشكل مستقل في بحثه، بل أتى على بعض متعلقاتها من خلال بعض مباحث هذه الرسالة بشكل عام، وركز على بعض المسائل مثل عقيدة التثليث وبشرية عيسى عليه السلام، وتبشيره بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقد استشهد على ذلك ببعض آيات القرآن الكريم. بينما دراستي جاءت في النص القرآني نفسه، وما فيه من لطائف وإشارات، مستنبطا منه قضية الميلاد وملابساتها، بشكلها الحقيقي الواضح.

رابعا: رسالة ماجستير بعنوان: "عيسى بن مريم عليه السلام في الأناجيل : دراسة نقدية في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية". لمحمد فضل المولي عبد الرحيم، في جامعة أم درمان الأسلامية، كلية التربية، في السودان. ٢٠١٥ م. وفيها هذه الملاحظات:

١- سلك الباحث في بحثه مسلكا عقديا، فكانت دراسته دراسة فكرية تعتمد على اثبات القضايا مهما كانت الشواهد.

٢- وأمر آخر، فقد ذكر الباحث أمر ولادة المسيح عليه السلام بشكل عرضي، وكان جل تركيزه على ذكر روايات الأناجيل في هذا الموضوع، ولما ذكر هذا الموضوع في القرآن الكريم ذكره سردا على شكل قصة دون التعرض لشيء من مزايا القران الكريم في ابراز حقيقة هذا الموضوع، ولذا لم يستشهد الباحث بأي كتاب من كتب التفسير اطلاقا. بينما دراستي كانت في مسار التفسير، وهي تعتمد على نصوص القرآن الكريم وما فيها من مزايا، لإبراز قضية ميلاد المسيح بشكلها الحقيقي، ولا يخفى ما بين المسارين من فارق كبير.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

كما ولا يخفى ما لهذه الدراسات من أهمية كبيرة، والتي أفاد منها الباحث في كثير من قضايا البحث وفروعه.

منهجية البحث :

إعتمدت هذه الدراسة على عدد من المناهج، وهي على النحو الآتي:

أولا : المنهج التحليلي: وهو تحليل الآيات الكريمة التي تحتاج إلى بيان، للكشف عن بعض الفوائد التي تتعلق بالموضوع.

ثانيا: المنهج الاستقرائي: وهو استقراء كتاب الله تعالى لجميع الآيات التي تتعلق بموضوع الدراسة، والإفادة منها.

ثالثا: المنهج الإستنباطي: وهو استنباط القضايا المتعلقة بموضوع الدراسة، من خلال النظر في تفسير الآيات الكريمة، وشواهدها من كتب الحديث الشريف، وبعض الكتب العلمية الاخرى التي تتعلق بموضوعات الدراسة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: ملابسات ولادة المسيح. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعجب من هذه الولادة

المطلب الثاني: الحكمة من ولادة المسيح عليه السلام بهذه الطريقة

المبحث الثاني: براءة السيدة مريم ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إرهاصات البراءة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: أدلة براءة السيدة مريم

المبحث الثالث: موقف النصارى من طبيعة عيسى عليه السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أباطيل النصارى فيما ادعوه بحق عيسى عليه السلام

المطلب الثاني: اختلافهم بشأن عيسى عليه السلام، وتفرقهم أحزابا شتى

الخاتمة: النتائج والتوصيات

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

تمهيد: مقدمة عن سورة مريم

سورة مريم سورة مكية عند الجمهور، ووجه التسمية، أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصّل في غيرها(١). ومقصد غالب آيات سورة مريم يدور حول محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، وإثبات البعث(٢). وتشترك سورة مريم مع سورة الكهف التي قبلها بالأسلوب القصصي الغالب عليهما، وبالأعاجيب والخوارق من القصص في كليهما(٣).

وقد كان لسورة مريم علاقة كبيرة بالهجرة إلى الحبشة، فبفضلها نجى المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة من قبضة قريش، وبفضلها أسلم النجاشي ملك الحبشة، وذلك عندما دفعت قريش بعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى النجاشي؛ ليقنعوه برد المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده، وذلك من خلال التحريض عليهم باتهامهم بالتقوّل على عيسى بن مريم وأمه بما يغضب الملك، وقد كادوا أن ينجحوا في مكيدتهم هذه، لولا براعة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي أنقذ الموقف باختيار سورة مريم، ليقرأها على مسامع الملك وأساقفته. فقد ذكر السيوطي في تفسيره: " أخرج أحمد وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن أم سلمة: أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به – يعني رسول الله – من الله من شيء ؟ قال : نعم، فقرأ عليه صدرا من { كهيعص } فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة "(٤) ثم توجه إلى عمرو

---

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦ / ٥٧ – ٥٩
(٢) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤ / ٢٢٩٩
(٣) انظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤ / ٥١٨
(٤) السيوطي، الدر المنثور، ٥ / ٤٧٦ . وانظر القرطبي، تفسير القرطبي،١١ / ٧٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

وعبد الله وقال لهما: انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما، ثم قال للمسلمين: اذهبوا، فأنتم آمنون بأرضي، ومن سبكم أو آذاكم فقد غرم، ثم رد إلى قريش هداياهم(٥).

إنّ تأثر النجاشي وإسلامه فور سماعه آيات من سورة مريم، ليدل دلالة واضحة على صدق البيان القرآني، في كشف حقيقة عيسى عليه السلام وإبطال ما دار حوله من شبهات، في اعتقادات النصارى، والتي سنتحدث عنها بالتفصيل في المباحث الآتية إن شاء الله.

(٥) انظر الرواية كاملة، ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، باب، إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها، ٢ / ١٧٧ – ١٨١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المبحث الأول: ملابسات ولادة المسيح(٦)

تكفلت سورة مريم بالكشف عن ملابسات ولادة المسيح عليه السلام بشيء من التفصيل، بدأت أولى حلقاتها باصطفاء الله تعالى لمريم من بين نساء العالمين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ آل عمران، وقد عدّها الرسول صلى الله عليه وسلم من خير النساء، فقال: (حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)(٧). وقد كان هذا الاصطفاء للتمهيد للمهمة العظيمة، وهي الحمل بالرسول المسيح عليه السلام، لكن حمل على غير المعتاد، حمل تبعاته صعبة جدا، لا تقوى عليه أي امرأة، إنه الحمل العذراوي(٨).

هذا وقد حملت ملابسات هذه الولادة في طياتها أحداثا كبيرة، سنفصلها في المباحث القادمة إن شاء الله.

---

(٦) معنى مسيح كما " قال ابن عباس : إنما سمي مسيحا ؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ ، وقال الحسن وقتادة : سمي مسيحا ؛ لأنه مسح بالبركة ، وقيل : المسيح : الصديق ، ويكون المسيح بمعنى : الكذاب ، وهو من الأضداد ، وقيل : سمى مسيحا ؛ لأنه كان يمسح وجه الأرض ، ويسيح فيها ". السمعاني، تفسير القرآن، المسمى بتفسير السمعاني، ١ / ٣١٩

(٧) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها، ٥ / ٧٠٣ ، رقم الحديث: ٣٨٧٨ ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال الشيخ الألباني : صحيح

(٨) الحمل العذراوي: هو حمل المرأة من غير زوج، كما هو الحال مع السيدة مريم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الأول: التعجب من هذه الولادة

تعجبت مريم وقومها من طبيعة هذه الولادة، لأنها جاءت على غير المعتاد، ولكن شتان ما بين تعجب مريم، وتعجب قومها، فهي التقيّة العارفة بربها، ولا يخفى عليها قدرة ربها، ولكن لتعجبها شأن آخر.

أولا: تعجب السيدة مريم من هذه الولادة

بعد أن كُلّفت السيدة مريم بهذه المهمة (مهمة الحمل) تعجبت وفُجعت من هول الصدمة، فسألت:﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ مريم، كيف سيأتيها ولد وهي غير متزوجة ؟! وكيف ستواجه الناس بهذا المولود ؟.

إذن فما طبيعة سؤال مريم ؟ فهل هي تسأل عن كيفية الحمل بدون زوج ؟ أم أنها تسأل سؤال الشاك بقدرة الله تعالى على إحداث مثل هذه الولادة الخارقة للعادة ؟

حقيقة أنّ مريم – حسب سياق آيات سورة مريم ووغيرها من السور – لم تكن لتسأل سؤال الشاك بقدرة الله تعالى، وهي العابدة لربها، التي وهبتها أمها للمعبد منذ طفولتها. فلم يكن سؤالها إلا عن كيفية حصول مثل هذه الولادة الخارقة للعادة. قال الطبري: " قالت مريم لجبريل﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ﴾ من أيّ وجه يكون لي غلام؟ أمن قِبَل زوج أتزوّج ، فأرزقه منه، أم يبتدئ الله فيّ خلقه ابتداء "[٩] فهي تسأل باستغراب عن الكيفية، لأنّ الولد لا يكون – حسب سنة الله في الحياة – إلا

(٩) الطبري، تفسير الطبري، ١٨ / ١٦٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

عن طريقين: الأول، النكاح وهو حلال، والثاني، الزنا وهو حرام. وهي لم تسلك أي الطريقين، فكيف سيكون الحمل إذن.(١٠)

ومما يؤكد أنّ مريم سألت عن الكفية ولم تشك بقدرة الله تعالى، المثال المشابة لحالتها، وهو زكريا عليه السلام، الذي يجاورها في نفس السورة، وفي واقع الحياة(١١)، فقد سأل الله تعالى الولد وهو في سن الشيخوخة، هو وزوجته – علما أنها عاقر – فلمّا بشّره الله بالولد، ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ ﴾ مريم، " قال ذلك على وجه التعجب لا على وجه الشك "(١٢) فهو يسأل، وما كان سؤاله إلا من باب التعرف على كيفية وجود الولد، من غير الأسباب التي تعطلت عنده. قال الشنقيطي: " إنّ استفهام زكريا استفهام استخبار واستعلام، لأنه لا يعلم هل الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز، على كبر سنهما على سبيل خرق العادة، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردهما شابين ؟ فاستفهم عن الحقيقة ليعلمها ... وقد يكون استفهامه استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى"(١٣) و" قال الحسن: أراد أن يعلم كيف وهب ذلك له؛ وهو كبير وامرأته عاقر؛ ليزداد علما "(١٤)

وكذلك الأمر عند السيدة مريم، فهي لا تسأل شكّاً، وإنما تسأل — بغرابة – عن طريقة وكيفية الحمل الخارجة عن المعتاد؛ حتى تستعد للقادم الصعب. وهذا كل ما في الأمر.

---

(١٠) انظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ٣ / ١١

(١١) انظر الشربيني، السراج المنير، ٢ / ٤٥٧

(١٢) السمرقندي، بحر العلوم، ١ / ٢٣٦

(١٣) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣ / ٣٦٩ . وانظر القرطبي، تفسير القرطبي، ١١ / ٨٣

(١٤) ابن زمنين، تفسير القرآن العزيز، ١ / ٢٨٨

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

إزالة هذا التعجب

بعد أن سألت مريم عن كيفية حصول الولد من غير زواج، جاءها الجواب الواضح على لسان جبريل عليه السلام: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم، "يعني خلقه عليَّ يسير"(١٥)، إذن الأمر هيّن، لأنه يتعلق بالخالق الذي خلق الأسباب، ووضع سنن الإنجاب وغيرها، وليس المخلوق الذي تجري عليه هذه السنن والأسباب. فالله الذي وضع هذه السنن، قادر على تغييرها، أو إلغائها، فالأمر هيّنٌ، هيّنٌ جداً(١٦)،لا كما يتصور بعض الناس من أنّ ذلك مستحيل، فقدرة الله تعالى ليست حبيسة العادات والسنن، فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فأين وجه الغرابة ؟.

أيضا على مريم أن تنظر إلى حال زكريا عليه السلام – الذي تدخل هي في كفالته – عندما تسائل عن كيفية مجيئه الولد، وقد تعطلت عنده كل قوانين الإنجاب، فكان الجواب: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾ مريم، فالأمر هيّن إذن، لأنه يتعلق بالله، الذي لا يعجزه شيء. فالذي جعل العاقر لا تلد، وجعل الشيخ الفاني لا ينسل، قادر على إصلاح العاقر وإزالة سبب العقم، بل قادر على أن لا يجعل أسبابا لذلك، ويجعل كينونة الأشياء

(١٥) السمرقندي، بحر العلوم، ١ / ٣٧١

(١٦) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٥ / ٩٠٥٩

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

بكلمة واحدة: كن فيكون(١٧). وهو القادر أيضا على أن يجعل مريم تنجب من غير زوج، لأنّ الأمر يتعلق به سبحانه، وليس بالبشر أو أي مخلوق آخر، فحتما هو هيّنٌ إذن.

ثانيا: استنكار قوم مريم

استنكر قوم مريم هذا الحمل، واعتبروه حمل سفاح، لأنه بدون زواج، وسنن الحياة لا تسمح به، قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ مريم، وهم – حتى هذه اللحظة – معذورون في موقفهم هذا، لأنهم يحكمون على الأشياء وفق قوانين وسنن الحياة، فكان لا بد من دليل قاطع يكشف حقيقة هذا الحمل ويزيل الغموض، حتى تظهر الحقيقة.

الجواب عن استنكار قوم مريم:

لم توكل مهمة الإجابة عن استنكار قوم مريم، إليها؛ لأنّه مهما بالغت في نفي التهمة عن نفسها فلن يصدقها أحد، فالولد بين يديها. من أجل ذلك تكفل الله تعالى بهذه المهمة بنفسه، فجاءها الأمر بالصيام عن الكلام، والإكتفاء بالإشارة. قال تعالى: ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم. " قال ابن مسعود: أُمرت بالصمت لأنها لم تكن لها حجة عند الناس، فأُمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها مما يبرئ بها ساحتها "(١٨) وعند مواجهت قومها – وقد حصل ما حصل من استنكار لهذه الولادة – جاءهم الجواب الساطع

(١٧) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن ، ٤ / ٢٣٠٣

(١٨) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ٢٢٥ ، وانظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤ / ٢٤٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

الذي ليس بعده أي ريبة، ومن فم الصبي نفسه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ مريم. حجة قوية بحجم التهمة التي ملأت صدورهم، فلم يعد لهم إلا التصديق الكامل لهذه الولادة الغريبة، ويعلنوا براءة السيدة مريم مما اتهموها به.

وعليه فإنّ الله تعالى لم يرد أن يبدد استنكار قوم مريم وحسب، بل أراد أن يوقض البشرية كلها؛ حتى لا تتعلق بالأسباب وتنسى المسبب. ففي مثال مريم أراد الله تعالى أن " يُري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية لئلا يقفوا مع الأسباب ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها "[١٩] و أن يرقى بهم إلى حقيقة الأمر المتصلة بقدرته المطلقة، التي لا تحتكم إلى هذه السنن بأي حال من الأحوال. فالأمر ببساطة " أنّ لكل مولود سببا قريبا وسببا بعيدا، فالأول هو النطاف المنوي، والثاني قول الله كن (إرادة الخلق)، والموجود في حالة خلق عيسى هو السبب البعيد لا القريب "[٢٠] هذا كل ما في الأمر.

(١٩) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٤٩١

(٢٠) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص: ٦٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: الحكمة من ولادة عيسى بهذه الطريقة

لا شك أنّ كل من سمع بهذه الحادثة تسائل عن الحكمة من خرق العادة في هذه الولادة؛ من أجل ذلك فإنّ الله تعالى قد أعدّ الجواب مسبقا لكل من يسأل عن الحكمة، فقال: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم. وقد وضّح ابن كثير هذه الحكمة، فقال: " ولهذا قال: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه."(٢١)

نعم إنّ ذلك كان آية على كمال قدرة الله تعالى وعظمته في خلقه، وقد جاءت هذه الحادثة لتنشيط الفكر البشري نحو خالقه، ولاظهار روعة الإبداع في الخلق. يقول سيد قطب رحمه الله: " جرت هذه السنة أحقاباً طويلة حتى استقر في تصور البشر أنّ هذه الطريقة الوحيدة، ونسوا الحادث الأول. حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس. فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة، وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها "(٢٢) بمعنى أنه سبحانه لا يقيده ما يقيدنا من قوانين الأسباب والمسببات، التي خلقها الله لنا، فلما ظن البشر أنّ ما ألِفوه من قانون الأسباب هو الباعث الحقيقي لمسبباتها، وأنه لولاها لما كانت المسببات، أراد الله تعالى أن ينبههم إلى أنه الخالق لهذه الأسباب

(٢١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٥ / ٢٢٠

(٢٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤ / ٢٣٠٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

ومسبباتها، وأنه قادر على أن يخرق قانون السببية، فيوجد المسبب من غير السبب إذا شاء. وهذا ما كان فعلا مع عيسى عليه السلام، إذ أوجده من أم بدون أب، كما أوجد آدم عليه السلام من غير أم وأب.(٢٣)

المبحث الثاني: براءة السيدة مريم

من أكثر ما يؤرّق الإنسان في حياته أن يُتهم وهو بريء، وخاصة إذا كانت التهمة في العِرض والشرف، وهو ما قد يؤدي به إلى الانهيار النفسي في كثير من الأحيان، وقد مرت السيدة مريم في مثل هذا الظرف العصيب، الذي لا تحسد عليه آنذاك، وقد كان كل همها الوصول إلى لحظة البراءة؛ لتتخلص من هذا الكابوس المؤلم، لكنّ الله تعالى، الرحيم بعباده، لم يكن ليترك مريم تُتهم في عرضها؛ وهي التي صانته من أجله سبحانه وتعالى، فكانت رحلة البراءة على السيدة مريم صعبة جدا، لكنها كانت على الله تعالى هينة جدا جدا؛ ولهذا فإنّ الله تعالى تكفل ببراءتها منذ اللحظة الأولى من حياتها، وقبل حدوث هذا الحمل بكثير، وذلك من خلال الأمور الآتية:

(٢٣) انظر البوطي، كبرى اليقينات الكونية، ص: ١٤٢ – ١٤٩ . وانظر لينة الحمصي، المسيحية والإسلام، ص: ٧١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الأول: إرهاصات البراءة

قبل الحديث عن أدلة براءة السيدة مريم مما اتُّهمت به، فإنه لا بد من العلم بأنّ الله تعالى قد أكرمها، وعوّدها الخوارق والكرامات، قبل هذه الحادثة؛ وذلك لتكون هذه من قبيل المقدمات والإرهاصات على براءتها من تهمة ولادتها بدون زوج.

هذا ويمكن إجمال الحديث عن إرهاصات البراءة على النحو الآتي:

أهم إرهاصات براءة السيدة مريم

أولا: دخولها بكفالة زكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران: ٣٧. " والكافل هو المربي"(٢٤)، وزكريا أعظم أحبار بني إسرائيل، ما يعني أنها ستنال حظا وافرا من التربية على طاعة ربها، وكل هذا بوحي من الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى تكفل بإنشائها؛ لإعدادها لأمر عظيم في قادم أيامها، قال ابن عاشور: " وقد عرف هذا القبول بوحي من الله إلى زكرياء بذلك، وأمره بأن يكفلها زكرياء أعظم أحبارهم، وأن يوحى إليه بإقامتها بعد ذلك لخدمة المسجد، ولم يكن ذلك للنساء قبلها، وكل هذا إرهاصٌ بأنه سيكون منها رسول ناسخ لأحكام كثيرة من التوراة؛ لأنّ خدمة النساء للمسجد المقدّس لم تكن مشروعة "(٢٥) وقال ابن كثير: " وإنما قدّر الله كون زكريا كافلها لسعادتها؛ لتقتبس منه علما جما نافعًا وعملا صالحًا؛ ولأنه كان زَوْجَ خالتها"(٢٦)

(٢٤) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ١ / ٢٦١
(٢٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣ / ٢٣٥
(٢٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

ثانيا: قبول الله تعالى لها وإنباتها نباتا حسناً. قال تعال: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧، وتقبُّل الله لها، هذا من علامات صلاحها، لأنّ الله تعالى لا يتقبل الفاسقين.

وكذلك ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾، حيث أسند الله تعالى الإنبات لنفسه، للدلالة على كمال الإنبات وحسنه، ومعنى الإنبات الحسن: " يعني رباها تربية حسنة في عبادة وطاعة لربها "[٢٧] وكذلك أنبتها " في صلاح وعفة ومعرفة بالله وطاعة له "[٢٨] ويُعدّ هذا بمثابة الحكم من الله تعالى على صلاحها.

ثالثا: سيادتها وجلالتها في محل عبادتها، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران

فقد أكرمها الله تعالى ببعض الكرامات، منها أن رزقها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فكان زكريا يسألها عن ذلك، فتقول: ﴿ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧، قال ابن كثير: " يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وفيه دلالة على كرامات الأولياء "[٢٩] وبذلك فإنّ الله تعالى قد أجرى على لسانها قاعدة ذهبية في علاقة القدرة الإلهية مع الأسباب والمسببات، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

(٢٧) السيوطي، الدر المنثور، ٢ / ١٨١ . وانظر الماوردي، تفسير الماوردى (النكت والعيون)، ١ / ٣٨٨
(٢٨) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١ / ٢٠٨
(٢٩) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٦ . وانظر الشربيني، السراج المنير، ١ / ٢٤٣

آل عمران: ٣٧. " ومن الحساب أن يكون للمرأة زوج لترزق بالولد، ولكن الله يرزق من يشاء بغير حساب"(٣٠) كما رزقها عيسى عليه السلام من غير أن يكون لها زوج.

رابعا: اصطفاء الله تعالى لها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ آل عمران. والاصطفاء هو الاختيار(٣١)، و" أصل الصفاء: خلوص الشيء من الشوب ... والاصطفاء: تناول صفو الشيء "(٣٢) والله تعالى اصطفاها اصطفاءان، وطهر، فالاصطفاء الأول كان لخدمة بيته، في حين أنه لم يُقبل قبلها أنثى قط، وفرّغها لعبادته، وأغناها برزقه عن رزق غيره. والاصطفاء الثاني كان اصطفاء من نوع خاص، وهو تكليم الملائكة، والتبشير بالولد من غير أب. أما طهرها فكان من الأخلاق الذميمة، ومما يستقذر من النساء (٣٣).

قال الشعراوي وهو يتحدث عن اصطفاء مريم ورزقها من غير حساب: " ونجد أنّ هذه كلها إيناسات للحدث الذي سيأتي من بعد ذلك، وهو حدث يتعلق بعرضها وعفافها ، فلا بد أن يمهد الله له تمهيدا مناسبا؛ حتى تتأكد من أنّ هذه المسألة ليس فيها شيء يخدش الكرامة "(٣٤)

(٣٠) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ٥ / ٢٧٩٠
(٣١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ١٤ / ٤٦٢ ،كتاب الواو والياء، صفا
(٣٢) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٥٨٥ ،كتاب الصاد
(٣٣) انظر ابن عجيبة، البحر المديد، ١ / ٣١٧ ، بتصرف
(٣٤) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٣ / ١٤٥٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

هذه لمحة عامة عن بعض مقدمات وإرهاصات براءة السيدة مريم من تهمتها، بل إنّ ما اعتادت عليه السيدة مريم من الكرامات الربانية صار بالنسبة لها أمرا طبيعيا، وإني على يقين أنّ أمر الولادة ما فاجأها أبدا، فالكرامات والخوارق سيرتها، وهي أكثر الناس ثقة بقدرة ربها، ولكن الذي أرّقها هذه المرة أنّ الخارقة تمس عفتها، فما كان عنتها إلا من جهة كيفية مواجهة الناس، لا من جهة نظرتها لقدرة ربها.

المطلب الثاني: أدلة براءة السيدة مريم

في المطلب السابق كان الحديث عن مقدمات وإرهاصات براءة السيدة مريم، ولكنها تبقى مقدمات عامة، يمكن الإستئناس بها للدلالة على البراءة، أما في هذه الفقرة فسنتحدث عن أدلة البراءة القطعية، وذلك عند السيدة مريم في نفسها، وعند قومها، وهي على النحو الآتي:

أولا: التطمينات الإلهية للسيدة مريم.

وهو ما يمكن أن نسميه، أدلة البراءه في نفس مريم، لتطمينها على نفسها من حالة التوتر التي أصابتها بسبب هذا الحمل الخارق للعادة، والتي تخشى معه أن تتهم في عرضها.

ويمكن إجمال هذه التطمينات على النحو الآتي:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

أولا: كلام ابنها معها وهو في المهد – على أرجح الأقوال[٣٥] – ومضمونه: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ مريم، وذلك تطمينا لها بأنّ الله تعالى قد تولى مهمة ترتيب براءتها، فلا تحزن. قال ابن عطية: " ففي هذا آية لها وأمارة أنّ هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم لا سيما والمنادي عيسى، فإنه يبين به عذر مريم ولا تبقى بها استرابة فلذلك كان النداء أنّ لا يقع حزن "[٣٦] وهذه إشارة ربانية بمعية الله لها.

ثانيا: تساقط الرطب عليها، قوله تعالى:﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾مريم، وهذه خارقة أخرى لتطمينها على براءتها، فهزُّ جذع النخلة لا يقوى عليه الرجال الأقوياء، فكيف تفعله مريم وهي تعاني الضعف وألم الولادة ؟ لكنها لما هزّت الجذع وهي في أشد حالات ضعفها، ورأت الرطب يتساقط عليها، عرفت أنّ عناية الله ترعاها[٣٧]، قال السلمي: " قال الواسطي رحمه الله: كما أن الله تولى النخلة بما عاينت تولى عيسى في إظهاره من غير أب "[٣٨]، وكذلك فإنّ هذه معجزة وكرامة من عنده سبحانه، تحمل في ثناياها دليل براءتها[٣٩]، قال البيضاوي: " روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاء، فهزتها، فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا، وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها "[٤٠]

---

(٣٥) انظر الطبري، تفسير الطبري، ١٨ / ١٧٤
(٣٦) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤ / ١١
(٣٧) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٥ / ٩٠٦٧
(٣٨) السلمي، حقائق التفسير (تفسير السلمي)، ١ / ٤٢٤
(٣٩) انظر الرازي، تفسير الرازي، ١١ / ٧٩
(٤٠) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٤ / ١٢ . وانظر أبا حيان، تفسير البحر المحيط، ٦ / ١٧٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

ثالثا: قول الله تعالى لها: ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ مريم: ٢٦، فكلي واشربي: تقوية جسدية، وقرّي عيناً: تقوية نفسية، وهي من الاطمئنان و سلوة الصدر(٤١)، أرشدها ربها إلى الاطمئنان مما كان يقلقها، وهو بمثابة الوعد والتأكيد على أنّ الله تعالى سيبرّئ ساحتها من التهمة المسندة إليها(٤٢).

رابعا: تكليف مريم بالصيام عن الكلام، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ ﴾ مريم، أي " قولي له إني أوجبت على نفسي لله سبحانه أن لا أتكلم وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى عليه السلام يتكلم ببراءة أمه وهو في المهد "(٤٣) وهذا يعني، أنّ مريم لم يعد لها شأن في مسألة إثبات البراءة، فلا خوف بعد الآن، فهي الآن في رعاية الله تعالى، الذي تولى أمرها حتى النهاية.

ثانيا: أدلة براءة السيدة مريم عند قومها

بعد تلك الإرهاصات والتطمينات، كان لا بد من الأدلة الدامغة التي تثبت براءة السيدة مريم من هذه التهمة أمام قومها، والتي من خلالها تتحقق إرادة الله تعالى وحكمته في هذه الولادة للناس اجمعين.

ويمكن إجمال أدلة البراءة على النحو الآتي:

---

(٤١) انظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ٢ / ١٥

(٤٢) انظر ابن عجيبة، البحر المديد، ٤ / ٢١٦

(٤٣) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢ / ٦٧٩

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

أولا: كلام ابن مريم وهو في مهده، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ مريم. وهذا أقوى دليل على البراءة، لأنه خارق للعادة وسنن الحياة، وفور سماع كلام الصبي يذعن الجميع مذهولين من هذه الخارقة، وبه تحصل البراءة الكاملة للعفيفة مريم، قال ابن عادل: " إنّ ذلك الكلام في ذلك الوقت، كان سبباً لإزالةِ الوَهْم الذي ذهب إليه النَّصارى "(٤٤)

ثانياً: قول ابن مريم: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾، ولم يقل: وبرا بوالديَّ، دليل على أنّه علم أنه ليس له أب، وهذا دليل آخر يتكامل مع دليل نطقه في مهده. قال الشوكاني: " واقتصر على البر بوالدته لأنه قد علم في تلك الحال أنه لم يكن له أب"(٤٥) وقد ازداد قوم مريم قناعة ببراءتها، لما قال ابنها: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾، قال ابن الجوزي: " قال ابن عباس لما قال هذا ولم يقل بوالديّ علموا أنه ولد من غير بشر "(٤٦)

ثالثا: أنّ الله لا يخص الفاجرة بمثل عيسى النبي. فلو كانت مريم فاجرة، هل كان الله تعالى ليخصها بنبي كعيسى عليه السلام ؟ فأفاد كلام ابن مريم وهو في مهده " إزالة تهمة الزنى عن أمه، لأنه تعالى لا يخص الفاجرة بولد مثله "(٤٧)

---

(٤٤) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ١٣ / ٥٥ ، وانظر القرطبي، تفسير القرطبي، ١١ / ١٠٣
(٤٥) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٣ / ٣٣٢
(٤٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ٢٣٠
(٤٧) حقي، روح البيان، اسماعيل ٥ / ٣٣٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

رابعا: حديث ابن مريم عن برّ والدته، فقال: ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي ﴾، حيث أُمر ببرّ والدته، فلو كانت أمه فاجرة فهل سَيأُمر ببرها ؟ قال الشيخ الزحيلي: " وجعلني بارا بوالدتي مريم ... وهذا أيضا دليل واضح على نفي الزنا عنها، إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعظم مأمورا بتعظيمها "(٤٨)

خامسا: ومن الأدلة كذلك، محتوى كلامه كله. فالذي يتكلم عن العبودية لله، وعن الرسالة، والكتاب، والبر بوالدته ... الخ، ليس له معنى سوى أنه من تدبير السماء. فمن كان كلامه هكذا، فهل يمكن أن يكون ابن فاجرة ؟ قال الخازن:" فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم "(٤٩). وهذا دليل آخر لبراءة السيدة مريم.

والنتيجة، أنّ قوم مريم أذعنوا لِما رأوه أمامهم من المعجزات الباهرات، وبرّأوها من تهمتها، بل وحتى اليهود، فقد اختلت موازين حقدهم أمام هذه الخارقة الكبيرة، فأذعنوا لها واضطروا لتصديقها، لأنهم لو لم يصدقوها لرجموا السيدة مريم (حسب شريعتهم)(٥٠)

فضل القرآن في براءة السيدة مريم

غير أنّ هذا الحدث العظيم (كلام عيسى في مهده) مما أغفلته أناجيل النصارى، ولا نعلم لماذا ؟!(٥١) وبقي هذا الحدث العظيم طي النسيان، يخوض فيه الخائضون عن غير علم، إلى أن جاء القرآن الكريم فتناول هذا الحدث بكل تفاصيله،

(٤٨) الزحيلي، التفسير الوسيط، ٢ / ١٤٧٥
(٤٩) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤ / ٢٤٥
(٥٠) انظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٥ / ٢٧٨٨
(٥١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦ / ٩٨

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

وكشف للبشرية حقائق منسية، وخاصة عند النصارى. يقول الدكتور محمد مجدي مرجان: " ومرت الأيام ونسي الناس الحقيقة وسط الترهات، وتمسكوا بالأكاذيب والشائعات، وضاعت في اليم معجزة الميلاد، إلى أن نزل القرآن، فأعلن الحقيقة، وقطع دابر الشكوك، وأعاد لمريم عفتها وطهارتها، وأعاد لعيسى قدره واحترامه، ولولا القرآن لاندثرت رواية الميلاد، ولعدت من الأباطيل والخرافات التي ترددها الأديان الوثنية القديمة، ولما صدقها أحد "(٥٢)

المبحث الثالث: موقف النصارى من طبيعة عيسى عليه السلام

أراد الله تعالى من هذا الميلاد العذراوي للسيدة مريم، أن يجدد تعلق الناس به سبحانه وتعالى مع هذا الرسول الجديد (عيسى عليه السلام) لتكون بداية قوية في بناء مجتمع إيماني متين، وخاصة بعد أن أفسد اليهود كل القيم الدينية آنذاك. ولكن – وللأسف – فبدل أن يرتقوا إلى ما أراد الله لهم من مراتب العز والإيمان، وقفوا مذهولين من هذا الحدث العظيم، ليهبطوا في تفكيرهم إلى القاع، فكانوا كالسكارى، بدون عقل، فيما قرروه بحق نبي الله عيسى عليه السلام، فقالوا فيه أقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، فضلوا وأضلوا.

(٥٢) محمد مجدي مرجان، المسيح إنسان أم إله، ص: ٢٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الأول: أباطيل النصارى فيما ادعوه بحق عيسى عليه السلام

بعد أن تكلم عيسى في المهد، وقال ما قال، لم يبقَ لأي متشكك حجة في أمر مريم وابنها عيسى عليه السلام، إذ أنه أفصح عن نفسه بما لا مجال فيه للتقوّلِ عليه بما لا يحتمله المقام، فما هو إلا عبد الله ورسوله. وللأسف فعلى الرغم من هذا الإفصاح والإيضاح، إلا أنه قامت جموع من أتباع المسيح بعد ذلك بالغلو في أمره، فتقولوا عليه الأقاويل، فزعم بعضهم أنه إله، وزعم آخرون بأنه ابن الله، وزعم آخرون أنه ثالث ثلاثة.

وذهب اليهود إلى اتهام السيدة مريم بالزنا، وأنّ ابنها عيسى عليه السلام ساحر كذّاب...

قال ابن كثير رحمه الله: " اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فصَمَّمَت طائفة – وهم جمهور اليهود، عليهم لعائن الله – على أنه ولد زنْيَة، وقالوا: كلامه هذا سحر، وقالت طائفة أخرى: إنما تكلم الله. وقال آخرون: هو ابن الله، وقال آخرون: ثالث ثلاثة. وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله. وهذا هو قول الحق، الذي أرشد الله إليه المؤمنين."(٥٣) بل تفرقوا أكثر من ذلك بكثير، فعقّدوا قضية عيسى عليه السلام تعقيدا كبيرا، وما ذاك إلا بسبب استغرابهم من مولد عيسى عليه السلام من غير أب، واعتبار أنّ هذا المولد له شأن خاص.

(٥٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٥ / ٢٣١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

هذا ويمكن رد أباطيل النصارى في تقوّلهم على عيسى عليه السلام بالآتي:

أولا: أنّ عيسى عليه السلام أثبت منذ اللحظة الأولى، وهو في المهد، أنه عبد الله، فكان أول كلامه: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، فهو يعلن عبوديته لله، ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية(٥٤) "وكان الله هو الذي أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوله الغالون فيه"(٥٥)، فهو عبد الله ورسوله بجميع آيات القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ النساء.

ثانيا: أنه أثبت لنفسه البشرية، فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ مريم، فهو يقر ببشريته من حيث الولادة، والموت، والبعث، كباقي البشر، فكل ذلك سيحصل له كما سيحصل لكل البشر، وهو واحد منهم، وليس عنده ما يميزه عنهم أبدا، قال تعالى فيه وفي أمه مريم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المائدة، وأكل الطعام ليس من أفعال الإله، وإنما هو من أفعال البشر. قال ابن كثير: "وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة "(٥٦)

---

(٥٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ٢٢٨. وانظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٤ / ١٣. وانظر أبا السعود، تفسير ابي السعود، ٥ / ٢٦٤

(٥٥) الماوردي، النكت والعيون، ٣ / ٣٧٠

(٥٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٣ / ١٥٩

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

ثالثا: أنّ ما ذهب إليه النصارى من عقائد فاسدة في عيسى عليه السلام، كان سببه إستغرابهم من خلقه عليه السلام، من أم دون أب. وللرد عليهم نقول:

١- لا غرابة في خلق عيسى عليه السلام، لأنّ هناك من هو أغرب منه في الخلقة، وهو آدم عليه السلام، فقد خلقه الله تعالى من غير أب وأم، ومع ذلك فالنصارى يعتقدون أنه بشر مثلهم، وليس إله، كما قالوا عن عيسى عليه السلام ! فلمَ الغرابة من خلق عيسى عليه السلام إذن(٥٧). قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران، وهذا " حجة على النصارى في قولهم كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه فهو أقطع لقولهم"(٥٨) والميلاد العذراوي من غير أب أعجوبة ولا ريب، ولكنها لا تقتضي الألوهية بحال، ولو اقتضتها لاقتضت ألوهية أصول جميع الحيوانات، وألوهية أبوينا آدم وحواء، فلا حجة لهم فيما ادّعوه إذن.

٢- أنّ استغرابهم ناشيء عن مخالفة ما ألفوه من سنن الإنجاب في الحياة. وهذا لا يعطيهم الحق في التقول على عيسى عليه السلام ما تقولوه من عقائد فاسدة، لأنّ ما ألفوه من سنن الحياة وقوانينها ليس كل الموجود، فهذا كله بأمر الله، وسنن هذا الكون هي من خلق الله، فإذا شاء الله كانت الأحداث وفق هذه السنن، وإذا شاء لم تكن، ولكنّه سبحانه يصرفها حسب مشيئته، ولا حد لمشيئته سبحانه(٥٩).

---

(٥٧) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢ / ٨١٧
(٥٨) الكلبي، التسهيل في علوم التنزيل، ١ / ١٠٩
(٥٩) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢ / ٨١٦

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

رابعا: ادّعاء النصارى الولد لله تعالى باطل، وهو قولهم: عيسى ابن الله. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَانَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وهذا باطل بحق الله تعالى، وجهل ما بعده جهل، لأنّ الولد لا يحتاجه إلا المخلوقين، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، فلمَ الولد ؟(٦٠) ، يقول سيد قطب: " والولد إنما يتخذه الفانون للامتداد، ويتخذه الضعاف للنصرة. والله باقٍ لا يخشى فناء، قادر لا يحتاج معيناً. والكائنات كلها توجد بكلمة كن. وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون .. فما يريد تحققه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين "(٦١)

خامسا: ادّعى النصارى أنّ عيسى، ابن الله كذلك، لأنه كلمة الله، وروحه ألقاها إلى مريم البتول.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ .. ﴾ النساء: ١٧١

فقد ضل النصارى عندما اعتقدوا أنّ الروح والكلمة التي ألقاها الله إلى مريم، من ذات الله، أي جزء منه. وفي ذلك ضلال واضح، لأنهم بنوا ذلك على فهم سقيم، لأنّ الكلمة التي ألقاها الله على مريم هي الكلمة التي بها خلق كل المخلوقات، وهي قوله: ﴿ كُن ﴾، فبها يكون أي شيء من غير سبب، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌۖ قَالَ

(٦٠) انظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ٣ / ١٨ ، وانظر الرازي، التفسير الكبير ، ٧ / ١٤٣
(٦١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤ / ٢٣٠٨

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ آل عمران، هذه هي الكلمة التي أرادها الله، لا ما أرادها أهل الضلال.

وكذلك الأمر في ضلالهم بقوله: ﴿ برُوحٍ مِنْهُ﴾، فإنّ الله عندما قال ﴿ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ ﴾ فلا يعني هذا أنّ الروح هي صفته أو جزء منه، وإنما هي عين قائمة بذاتها، ورسول من عند الله، كما أنك لو قلت: خلق الله، وسماء الله، فلا أحد يقول أنّ خلق وسماء هما صفة الله، أو جزء منه(٦٢). " فالمسيح مخلوق بروح من الله، كما هو آدم مخلوق بروح من الله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر، فالله تعالى يبث الحياة في جميع الأجساد البشرية، إلا أنّ الفرق بين آدم والمسيح وبين جميع البشر، هو عدم وجود نطفة بشرية في خلقهم ... لذلك خصهم الله تعالى بقوله ﴿ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ ﴾ ، ﴿ مِنْ رُوحِي﴾ من دون كل البشر، مع أنه تعالى يبث الروح في آدم وعيسى كما يبثها في جميع البشر"(٦٣)

(٦٢) انظر ابن تيمية، دقائق التفسير، ٢ / ٣١ . وانظر ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢ / ٣٨٥

(٦٣) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام، ص: ٦٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: اختلافهم بشأن عيسى عليه السلام، وتفرقهم أحزابا شتى

لم يستوعب النصارى غرابة ذلك الميلاد الذي جعله الله تعالى مظهرا من مظاهر حكمته وقدرته في خلقه، فاضفوا على عيسى ابن مريم عليه السلام صفات الألوهية، وصاغوا حول ميلاده الخرافات والأساطير، فافترقوا بشأنه فرقا كثيرة، واختلفوا اختلافا كبيرا " حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولا "(٦٤). قال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ مريم، فادّعى بعضهم أنّ المسيح هو الله، قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴿١٧﴾﴾ المائدة، وهذا الاعتقاد تقول به معظم فرق النصارى المعاصرة(٦٥). وادّعى بعضهم أنه ابن الله، قال تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة، وادعى بعضهم بأنه ثالث ثلاثة، قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴿٧٣﴾ ﴾المائدة، "يعني أبا وأما وروحا قدسا، يعني الله ومريم وعيسى "(٦٦) وقال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء

(٦٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الجواب ٢ / ٣٩٤
(٦٥) انظر المراغي، تفسير المراغي، ٦ / ٨٢
(٦٦) السمرقندي، بحر العلوم، ١ / ٤٣١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

وقد روى ابن حبان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افتَرقتْ اليَهُودُ عَلَى إحدَى وسَبْعينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)(٦٧)، والظاهر أنّ النصارى اجتمعوا مرات كثيرة لتحديد طبيعة عيسى عليه السلام، فاختلفوا فيه اختلافا كبيرا، وهم إلى يومنا هذا لا يزالون مختلفين.

وقد ورد في اختلافهم كلاما كثيرا، ومن ذلك ما أورده عبد الرزاق في تفسيره، أنّ النصارى افترقوا إلى أربع فرق: الأولى: قالوا هو الله، وهم اليعقوبية، والثانية: قالوا هو ابن الله، وهم النسطورية، والثالثة: قالوا هو ثالث ثلاثة، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى، والرابعة: قالوا هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته، وهم المسلمون(٦٨). ولسنا بصدد بيان كثرة أحزابهم وفرقهم التي اختلفت في أمر نبي الله عيسى عليه السلام، فهي أكثر مما تحصى(٦٩). لكننا نجمل الحديث فيما انتهت إليه طوائفهم بشكلها النهائي، فهي اليوم على ثلاث طوائف رئيسة، وهي:

الأولى: الكنيسة الغربية (الكاثوليك)(٧٠). والثانية: الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية)(٧١). والثالثة: الكنيسة البروتستانتية(٧٢). علما أنّ هذه الطوائف ظهرت نتيجة الاختلاف الذي حصل بين المسيحيين حول المجامع المسكونية(٧٣)، والتي كان أول

---

(٦٧) ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ١٤ / ١٤٠ ، رقم الحديث : ٦٢٤٧ . قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن

(٦٨) انظر الرواية كاملة، الصنعاني، تفسير القرآن، ٣ / ٨ . وانظر الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ٢١٩ – ٢٢٤

(٦٩) لمعرفة اختلافات النصارى بالتفصيل انظر عبد الواحد، الأسفار المقدسة، ص: ١٠٨ – ١١٥

(٧٠) هي أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهم، ويزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢ / ٦٠٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

ظهورها بداية القرن الرابع الميلادي. ومن أكبر مظاهر التشرذم والانقسام عند النصارى، كثرة الأناجيل، التي بلغت خمسين إنجيلا على أقل تقدير(٧٤)، وبالنسبة للأناجيل الأربعة المتفق عليها عند النصارى " فلم تعرف المعرفة الكاملة قبل مجمع نيقية (٣٣٥ م) إذ تم اختيارها من بين عشرات الأناجيل "(٧٥) علما أنها ليست كلام الله تعالى، بل هي من كلام الأتباع الذين نقلوا بعض ما سمعوه من المسيح عليه السلام(٧٦). وسيبقى النصارى يصارعون التشرذم والإنقسام ما داموا لم يعملوا عقولهم، ولم يستوعبوا أنّ هذه الغرابة في ولادة المسيح ما هي إلا مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وحسب، ولن ينجيهم إلا التصديق الكامل بكل ما جاء به القرآن الكريم جملة وتفصيلا.

أسأل الله تعالى التوفيق والقبول والحمد لله رب العالمين

---

(٧١) هي إحدى الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية بشكل نهائي عام ١٠٥٤ م وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢ / ٥٨٣

(٧٢) هي فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية إذ يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب وخلاص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية، أيضا، إذ يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢ / ٦١٥

(٧٣) المجامع المسكونية هي: المجامع التي تمثّل فيها الكنيسة الجامعة، وتشترك في أعمالها، ويقوم المجمع المسكوني مقام مجمع الرسل، فهو السلطة العليا في الكنيسة جمعاء، وتعتبر قراراته معصومة وملهمة من الروح القدس. لينة الحمصي، المسيحية والإسلام، ص: ٢١١

(٧٤) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢ / ٥٦٩ .

(٧٥) المرجع السابق، المجلد الثاني، ص: ٥٨٠

(٧٦) انظر ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤ / ١٢

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ – ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

الخاتمة والنتائج

وفي ختام هذه الدراسة، فإنه يمكن إجمال نتائج البحث على النحو الآتي:

أولا: تدور غالب آيات سورة مريم حول محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، وإثبات البعث، وقد كانت قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام الأكثر حظا في بيان ذلك.

ثانيا: تعجبت مريم من هذا الميلاد الخارج عن المألوف، ولم يكن تعجبها من باب الشك بقدرة الخالق، وإنما كان من باب السؤال عن الكيفية، لتتمكن من مواجهة قومها.

ثالثا: استنكر قوم مريم هذا الميلاد، فأزيل هذا الاستنكار بنطق المسيح عليه السلام وهو في مهده، فكان ذلك بمثابة معجزة جديدة، دالة على بداية عهد جديد من التبعية لله ورسوله.

رابعا: الحكمة من خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب، هو تنشيط الفكر البشري نحو خالقه، ولإظهار روعة القدرة والإبداع في الخلق، ولتذكير البشر بأن قانون الأسباب والمسببات الذي ينظم حياة الناس، لا يحكم قدرة الله تعالى، فهو الخالق لهذا القانون، و هو القادر على تعطيله، أو تبديله، وهو فعّال لما يريد.

خامسا: بدأت براءة السيدة مريم منذ اللحظة الأولى من حياتها، وذلك من خلال ما أجرى الله تعالى على يديها من كرامات رافقتها طيلة حياتها، فمنها ما كان قبل التكليف بحمل المسيح، ومنها ما كان عند الحمل، ومنها ما كان لحظة مواجهتها لقومها .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

سادسا: وقف النصارى من عيسى عليه السلام موقف مشين، فقالت فرقة هو الله، وقالت فرقة هو ابن الله، وقالت فرقة هو ثالث ثلاثة،واتهمه اليهود بالسحر والكذب.

سابعا: اختلف النصارى بشأن طبيعة المسيح عليه السلام، فانقسموا إلى فرق كثيرة، وكل فرقة تلعن الأخرى وتكفرها. هذا وتنقسم طوائف النصارى اليوم إلى ثلاثة طوائف رئيسة، يتفرع عنها طوائف فرعية كثيرة، وهي: الطائفة الكاثوليكية، والطائفة الأرثوذكسية، والطائفة البروتستانتية.

ثامنا: كان للقرآن الكريم دور كبير في توضيح ما ضل عنه النصارى في ولادة المسيح عليه السلام، وبراءة أمه مريم البتول، فقد جاء بقصة الميلاد بكل تفصيلاتها، فقضى على شائعات اليهود، ومحا تشككات النصارى، وجعل مريم وابنها آية للعالمين.

وأخيرا أسأل الله تعالى التوفيق والسداد والقبول، لهذا الجهد المتواضع، وهذا ما عندي، فإن أحسنت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. والحمد لله رب العالمين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

قائمة المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤١٥ هـ)
- كبرى اليقنيات الكونية، الطبعة الثامنة، محمد سعيد البوطي، دار الفكر – دمشق، (١٩٨٢ م)
- أنوار التنزيل وأسرار التاويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، (ت: ٦٨٥ هـ)، دار الفكر – بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، (١٤٠٤ هـ)
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة – الرياض، ط١ ، (١٤٢٤هـ)
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض، ط٤ ، (١٤٢٠ هـ)
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (ت: ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، (١٤٠٤ هـ)
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن أحمد ابن حبان، (ت: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ ، (١٤١٤ هـ)
- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي ، دار إحياء التراث العربى.

- المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، لينة الحمصي، دار العصماء – دمشق، ط١، (١٤٢٩ هـ)
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١ ، (١٤٢٢ هـ)
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢١هـ)
- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق (١٤٢٢ هـ)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ، (١٤٢٠هـ)
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود، (ت: ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، (١٤١٨هـ)
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، (ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر – بيروت، (١٩٩٣م)
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، (١٤١٥هـ)
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت (١٤٠٤ هـ)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، (ت: ١٢٢٧ هـ)، دار الفكر – بيروت.
- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت: ٢١١ هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم ، مكتبة الرشد – الرياض (١٤١٠ هـ)
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، (١٤٢٠ هـ)
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، (١٤١٩ هـ)
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (١٩٩٧ م)
- البحر المديد، أحمد بن محمد ابن عجيبة،. الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤٢٣ هـ)
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية، (ت: ٥٤١ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، (١٤١٣هـ)
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض، (١٤٢٣ هـ)
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط٣٢ ، (١٤٢٣ هـ)
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤٢٠هـ)
- المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة – الجيزة، ط٢ ، (١٠٠٤ م)
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة – مصر، ط١، (١٣٨٤ هـ)

- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت:٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، (١٤١١هـ)
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١
- تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة – القاهرة، (١٤٢٣هـ)
- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق
- بحر العلوم، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت، (١٣٩٩ هـ)
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، (١٤١٥هـ).
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت
- تفسير الماوردى (النكت والعيون)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت
- حقائق التفسير (تفسير السلمي)، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت:٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤٢١هـ).
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي – لبنان، (١٤٠٣هـ).
- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية – بيروت
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي – مصر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

وِلَادَةُ المسِيحِ عَليهِ السَّلام في ضَوءِ سورةِ مَريم

Abstract

The birth of Jesus.

In light of the Sura of Maryam

Dr. Ahmad Hussein Alshyyab

Assistant Professor of Interpretation In the College of Education – At King Faisal University

This study examined the birth of Christ peace be upon him, specially through the Sura of Mary and the remainder of noble Quran suwar generally, as a qur'anic study for examining the circumstances of birth Virgin birth of Lady Mary, and her innocence of accusations she was subjected to, and the resulting turmoil among Christians in their fabricated vanities against the prophet of Allah Isa peace be upon him, along with their differences and being dispersed to many rival parties. The purpose was to express the veracity of the Qur'anic statement and its role in the authentication of Christian creed, and expose their false allegations, and to bring them back to the righteousness away from their troubled creeds related to the birth of the Christ peace be upon him.

This study revealed that Almighty Allah has guaranteed- in his book - the innocence of Lady Mary, through another paranormal being the words of her son the Christ while still in his infancy, thus, Allah has raised his status peace be upon him.

The study concluded by demonstrating the attitude of the followers of Christ peace be upon him - later- could not comprehend such virgin birth, they had different views regarding the nature of Christ, they fabricated saying that contradicts what Allah has revealed. One of the sects said: he is Allah, another sect said: he is the son of Allah, and one other sect said: it is the third of three, and one other sect said: he is the slave of Allah and his Messenger. The study also demonstrated the magnificence of the noble Qur'anic statement in its response to their vanities with irrefutable intellectual evidence; however, and

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

despite that, such variation remains until this moment, and they will not be saved until they believe everything that came in the Holy Qur'an.

Keywords: Christian sects, Surah of Mary, the birth of Christ, Virgin birth, Christians, Qur'anic Statement.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

قائمة المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤١٥ هـ)
- كبرى اليقنيات الكونية، الطبعة الثامنة، محمد سعيد البوطي، دار الفكر – دمشق، (١٩٨٢ م)
- أنوار التنزيل وأسرار التاويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، (ت: ٦٨٥ هـ)، دار الفكر – بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، (١٤٠٤ هـ)
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة – الرياض، ط١ ، (١٤٢٤هـ)
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض، ط٤ ، (١٤٢٠ هـ)
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (ت: ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، (١٤٠٤ هـ)
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن أحمد ابن حبان، (ت: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ ، (١٤١٤ هـ)
- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي ، دار إحياء التراث العربى.
- المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، لينة الحمصي، دار العصماء – دمشق، ط١، (١٤٢٩ هـ)

- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١ ، (١٤٢٢ هـ)
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢١هـ)
- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق (١٤٢٢ هـ)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ، (١٤٢٠هـ)
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود، (ت: ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، (١٤١٨هـ)
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، (ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر – بيروت، (١٩٩٣م)
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، (١٤١٥هـ)
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت (١٤٠٤ هـ)
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، (ت: ١٢٢٧ هـ)، دار الفكر - بيروت.
- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت: ٢١١ هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم ، مكتبة الرشد – الرياض (١٤١٠ هـ)
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، (١٤٢٠ هـ)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص١٠٢ - ١٤٨ (محرم ١٤٤١هـ / سبتمبر ٢٠١٩م)

- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، (١٤١٩ هـ)
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (١٩٩٧ م)
- البحر المديد، أحمد بن محمد ابن عجيبة،. الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤٢٣ هـ)
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية، (ت: ٥٤١ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، (١٤١٣هـ)
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض، (١٤٢٣ هـ)
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط٣٢ ، (١٤٢٣ هـ)
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤٢٠هـ)
- المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة – الجيزة، ط٢ ، (١٠٠٤ م)
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة – مصر، ط١، (١٣٨٤ هـ)
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت:٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، (١٤١١هـ)
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١
- تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة – القاهرة، (١٤٢٣هـ)
- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق
- بحر العلوم، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت

- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت، (١٣٩٩ هـ)
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، (١٤١٥هـ).
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت
- تفسير الماوردى (النكت والعيون)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت
- حقائق التفسير (تفسير السلمي)، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت:٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤٢١هـ).
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي – لبنان، (١٤٠٣هـ).
- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية – بيروت
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي – مصر.